



حين يغيب شجر السرو العملاق الضخم تنبت الحشائش محله، ربما هذا يختزل ما يجري في العالم الإسلامي هذه الأيام "فالعلم لا يُنتزع انتزاعاً وإنما يُنتزع بقبض العلماء حتى إذا لم يبق علماء اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فأفتووا فضلوا وأضلوا" كما أبلغنا المصطفى عليه السلام، وينقل عن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى تعريفه للعالم: "إنما العالم في محرابه يقرأ من كتابه بين تلامذته"، فالعالم أو المثقف هو المهموم بهموم التلامذة والمهموم بهم الأمة، والصادر بالحق مهما كلفه من كُلف، ولنا في الإمام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية ومن قبلهما سعيد بن جبير وأمثاله أخرى يعجز القلم عن حصرها علامات ونجوم يهتدى بها في ظلمات ليل حالك نعيشه..

غيبة معظم العلماء في أماكن الأحداث العظام الجارية اليوم في الشام والعراق ومصر واليمن ولibia وغيرها مردها بالأساس بنظري هو إلى انسحاب غالبية العلماء طوال العقود الماضية عن الحياة العملية، وإيثارهم الفاني على الباقي، والسلامة والحيطة في أحسن الأحوال وفي أسوئها وهو ما يمثل الواقع إلى حد كبير للأسف، بالإضافة إلى اصطفافهم إلى جانب الاستبداد وهو ما جرّ الويلات في الشام والعراق وغيرهما، فابتعد الناس وال العامة، فضلاً عن الشباب عن هؤلاء العلماء لأنهم غدوا جزءاً من المنظومة الاستبدادية، وبالتالي اتّخذ بعض الشباب رؤوساً جهالاً فأفتوهم فوقعوا بما وقعوا فيه، والمعصوم هو من عصمه الله تبارك وتعالى وسعى إلى البحث عن علماء ثقات عاملين، والأرض لم ولن تخلو منهم "فإن خللت بليت" كما يُقال، لكن للأسف شكل رحيل العلماء المبكر عن ساحة العمل، واصطفاف الكثرين إلى جانب الاستبداد، وانسحاب الآخرين للخطوط الخلفية فراغاً قاتلاً للشباب، وهو ما فرّغ الساحة، وصدق طرفة ابن العبد حين قال:

خلاق الجو في بيضي واصفرى
ونقري ما شئت أن تُنقرى

مسؤولية العلماء والمثقفين والذين ينتمي إلى الأمة إلى هذا الواقع المرير، وعلى العلماء أن يعواًضوا ما فوتوا ويلتحقوا بشعوبهم ومشاكلها وطموحاتها وألامها وأمالها اليومية ليستعيدوا بذلك احترامها وتقديرها، بعيداً عن الجاه والمالي الحكوميين، فكلما ازداد العلماء قرباً وتودداً للشعوب وأمالها كلما ابتعدوا عن الحكام وهي علاقة عكسية تماماً ..

لم تُفسد السياسة إلا بعد أن فسّدت النخب، والنخب هنا للأسف نخب المثقفين و المفكرين و العلماء، وإنما تجرأ المستبد على أن يأمر وينهى دون أخذ رأي الشعوب المغلوبة، ويُحول الأوطان إلى عُزب ومزارع له، يعطي لمن يشاء ويقطع عن يشاء..

الحاصل اليوم من مجازر و مآسٍ في الشام والعراق ينبغي أن يكون فرصة ذهبية لتحرك العلماء، وأن يفكروا بالمرض لا بالعرض جرياً على ما تفعله القوى المتربيصة بالأمة وتحديداً إيران، فالكل ينظر إلى العرض وهو تنظيم الدولة "داعش" وينسى المرض الحقيقي ممثلاً بالاستبداد السياسي في الشام المتواصل منذ عقود والتهميش الخطير للأغلبية السنية على مدى عقود بالشام وعلى مدى سنوات في العراق، ومما يزيد الطين بلة نعمماً كما يقال الاحتلال الإيراني في العراق والشام والآن في اليمن، مدعوماً بميليشيات طائفية محسنة من الإدانة والقتل الدوليين، بينما الكل يتحرك ضد العرض..

لا ننسى ما قاله وزير خارجية الكرملين لافروف من أنهم لن يسمحوا بحكم سني في الشام..

لكن أحلامهم تلك ستتبخر تماماً كما تبخرت بهزيمتهم الساحقة الماحقة في أفغانستان، والإذلال الذي يتعرضون له بانهيار أسعار النفط وانهيار اقتصادهم، وهو ما تسبب في خسائر اقتصادية رهيبة لكل من روسيا وإيران، ومن خلفهما النظام الأسدية الذي يدور في فلكهما بسبب اعتماده عليهما.

يسخر أهل السنة من مقوله الشيعة بغيبة المهدى بالسرداب، بينما للأسف غالبية علماء أهل السنة دخلوا السراديب منذ أمد مديد، وهو ما حصدناه مآس، ندفع ثمنها دماءً وتشريداً وانهيارات مريرة، والأخطر من ذلك ما ندفعه من تشويه للإسلام إن كان على المستوى الرسمي أو المليشياوي، فهل يُعيد العلماء سُنة التصاقهم بالشعب وبطموحاته وألامه بعيداً عن التنظير البارد..

المسلم

المصادر: